Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (39), (March, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 39 مارس 2026
ردمد: 3014-6266

تجديد معنى العقل عند فخر الدين الرازي

جامعة صبراتة / كلية الآداب الجميل - قسم الفلسفة
عائشة جمال حرب
aisha.harb@sabu.edu.ly

Renewing the Meaning of Reason in Fakhr al-Din al-Razi

University of Sabratha / Faculty of Arts, Department of Philosophy
Aisha Jamal Harb

تاريخ الاستلام:2026/01/20 –تاريخ المراجعة: 2026/02/19– تاريخ القبول: 2026/02/28– تاريخ للنشر : 2026 /03/29

ملخص البحث :
أن مصطلح التجديد مصطلح أثري في النصوص الإسلامية والتراث الإسلامي، وتنحصر دلالته في بعض الكتابات ضمن مسائل محددة من الأحكام الشرعية، و لا سيما عندما يتصل التجديد بأداة التفكير ذات الصلة المباشرة به وهي العقل، فإن دلالته ّ الأصلية واستعمالاته المعاصرة تتسع لشؤون الحياة كلها، عندما يلزم الانطلاق من مرجعية دينية إسلاميةفي فهم هذه الشؤون، فيالمجالات السياسية والاقتصادية والإجتماعية والتربويةو غيرها، أو تطوير منهجية إسلاميةفي التعامل مع هذه الشؤون. و في هذا السياق ً نجد ألفاظا ومصطلحات أخرى غير مصطلح التجديد استعملت بدلالةلا تبتعد عن دلالة التجديد، و لاسيمافيمجال التطبيق والممارسة العملية، ومن ذلك مصطلح الإصلاح، و التغيير، والبعث، والإحياء، وإعادة البناء ,و بذلك أصبح القول بالتجديد غاية لكل من رام الإبتداع في الدين و رام الإنتصار لفكر او رأي .
الكلمات المفتاحية: التجديد – العقل – فخر الدين الرازي – التراث الإسلامي.

Abstract :
The term "renewal" is an archaic term in Islamic texts and Islamic heritage, and its meaning is limited in some writings to specific issues of Sharia rulings, especially when renewal is related to the tool of thought directly connected to it, which is the mind. Its original meaning and contemporary uses extend to all aspects of life, when it is necessary to start from an Islamic religious reference in understanding these matters, in the political, economic, social, educational and other fields, or to develop an Islamic methodology in dealing with these matters. In this context, we find other terms and expressions besides the term “renewal” that have been used with meanings that do not stray far from the meaning of renewal, especially in the field of application and practical practice. These include the terms “reform,” “change,” “revival,” “rebirth,” and “reconstruction.” Thus, the call for renewal has become the goal of everyone who seeks to innovate in religion and seeks to triumph over a thought or opinion.

مقدمـــة :

ما لا شك فيه أن للعقل مكانة عالية، وقد رفع الإسلام من شأن العقل وكرمه، كيف لا وقد جعله مناطاً للتكليف وشرطاً لقيام الحجة، و يدل على عناية الإسلام بالعقل محاربته وتحريمه لكل ما من شأنه أن يعطله أو يضعفه كالخمر، أو يحول بينه وبين أدائه لوظيفته التي خلقه الله من أجلها كالتقليد الأعمى و إتباع الهوى، كما حرم كل ما ينافيه من الأوهام والخرافات كالتشاؤم والكهانة والسحر. ومن ذلك حفظه من التطاول به إلى ما ليس في وسعه إدراكه، كالنهي عن التفكر في ذات الله.

ممن كشف عن هذا الدور للقرآن الكريم واهتمامه بالعقل فخر الدين الرازي – رحمه الله تعالى، وقد ظهر هذا من خلال استعماله منهجا بديعا في الاستدلال العقلي ، فالناظر في أدلة القرآن العظيم، يدرك أنه لا يوجد أدلة أقوى ولا أصح ولا أوضح دلالة من آيات القرآن ، ففيها الإيجاز والسهولة والتدرج والشمول والأسلوب المعجز و اليقينية، فلا تكاد تخلو سورة من كتاب الله عز وجل وفي أماكن متعددة منها إلا وتدعو إلى إعمال العقل واستخدامه في الوصول

إلى الإيمـان بعظمـة الله ووحدانيتـه، وقـد أكد الله تبارك وتعالى أن العقل السليم هو الـذي يـؤدي بصـاحبه إلـى امتثـال طريق الله،ومن امتثل طريق الله فقد وجد طريقه إلى الجنـة، وهـذا مـا حـرص الرازي على تحقيقه إذ اتبع الرازي فـي تفسـيره طريقـة التحليـل والتفصـيل التام للنص القرآني، ومـا يتعلـق بـه مـن مباحـث أصـولية، وكلاميـة، وفقهية، ولغوية، ونحوية، وبلاغية، وكونية ورياضية وغيرها[1].

إن الإمام فخر الدين الرازي أشهر من نار على علم في الفكر الإسلامي، حيث كانت شهرته في علم الكلام لا تضاهى وفي علمي الأصول والكلام أظهر، إلا أنه لم يكن على ذلك الحال في عصرنا هذا، على الرغم من تأثيره الكبير في القرون التالية لعصره، حيث شاعت مصنفاته بين العلماء وطلاب العلم، وكانت مصادر أساسية في جميع العلوم التي ألّف فيها، وقد تحدث العلماء والمؤرخون بإعجاب عن فكره في جميع تلك العلوم ومكانته فيها، لذلك لقب بألقاب كثيرة، كالإمام وسيد الحكماء المحدثين وغيرها.

وإذا كان معروفا عند العلماء والمؤرخين بالمتكلم والمفسر وعالم الأصول، فإنه لم يعرف كفيلسوف، مع العلم أن هؤلاء جميعا تقريبا يشيرون إلى أهمية المادة الفلسفية عنده، كما أن أكثر خصومه يتهمونه بالميل إلى الترعة الفلسفية في تفكيره , هذا، إن الفلسفة الإسلامية نفسها اختلف العلماء قديما وحديثا في نهجهاومشكلاتها ومباحثها، فمنهم من ظن أن نسخة طبق الأصل للفلسفة اليونانية، ومنهم من اعتقد انها علم الكلام، لكي يميزها عن الفلسفة اليونانية، ولكن الرازي أحدث طفرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية، لما دمج بين العلوم العقلية والعلوم الشرعية، فأصبح الناتج ضربا من التفكير المتميّز المغاير للفلسفة ولعلم الكلام[2].

هكذا، جعل الرازي مجال البحث رحبا ومتنوّعا، وتظهر أهمية فكره في التطور الحاصل بالفعل في الفلسفة الإسلامية من بعده، حيث أخرجها من مأزق قضية التوفيق بين العقل والنقل، ودفع العقل إلى أقصى مداه، حتى بان عجزه وتقرر نقصانه .وعلى الرغم من تحصيله للمادة الفلسفية والتحكم فيها، والتجديد الكبير الذي أدخله عليها، إلا أن شهرته بالفلسفة لم تكن بمستوى مجهوده الفلسفي، وقد يرجع السبب في ذلك إما إلى نقده الشديد للفلاسفة، وإما إلى إظهار العلماء لفكره في العلوم الأخرى دون الفلسفة لحاجتهم إليها، لذلك يعتبر فكره الفلسفي مجهولا وغير مبحوث، ويتمنى الباحثون المعاصرون أن تنهض دراسة في هذا الجانب وفي حقيقة فكره[3].

إشكالية البحث :

تتمحور إشكالية تجديد العقل خاصة العربي و الإسلامي) حول كيفية الإنتقال من عقلية تقليية / تراثية منغلقة ، تعتمد النقل و الإتباع ، إلى عقلية نقدية / حداثية فاعلة ، قادرة على التوفيق بين التراث و متطلبات العصر ، تكمن الصعوبة في موازنة التجديد دون طمس الهوية ، وتفكيك بنية التفكير السائدة دون التخلي عن الثوابت و تتفرع هذه الإشكالية إلى عدة تساؤلات رئيسية كالتالي :

س1 كيف يمكن قراءة التراث قراءة نقدية معاصرة لإستثمار إيجابياته، بدلاً من التقليد الأعمى أو القطيعة المعرفية التامة ؟

س2 التساؤل حول مدى قدرة العقل على التفسير و التأويل في مواجهة النصوص ، و إعادة بناء علم الكلام ليتناسب مع العقلانية الحديثة ؟

س3 ما مدى قدرة العقل على مقاومة المألوفات و المسلمات الثقافية الجامدة ، و تجاوز " العطالة " الفكرية للخروج من وضع التخلف الحض ؟

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على منهج فخر الدين الرازي في تجديد العقل و الوقوف على اهم مسائل الدليل العقلي في علم أصول الفقه ، التي كان فيها الأشاعرة و المعتزلة طرفي نقيض ، بسبب أصول كل من المذهبين ، بينما توسط فيها الرازي ، حيث لم يوافق مذهب الأشاعرة تمام الموافقة ، كما لم يخالف مذهب المعتزلة تمام المخالفة ، بل إنفرد رحمه الله في هاته المسائل ،بأن جمع فيها بين المذهبين ، و قارب بين المدرستين ، محصلا لما في هاته المذاهب من محاسن الأقوال ، ما يبين عن نزعة الرازي العقلية ، و ميله إلى التحقيق و التدقيق ، بدل المتابعة و التقليد ، في أسلوب علمي هادف .

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تجديد العقل عند فخر الدين الرازي في عدة نقاط منها :

-إعتماد العقل كأداة مستقلة و ضرورية لتقرير العقائد الدينية و مواجهة الفكر الباطني ، حيث دافع عن مشروعيته في فهم النص و تجاوز الجمود المعرفي ، مما جعل فكره يدمج بين علم الكلام و الفلسفة لتقديم عقيدة دينية قوية قائمة على الدليل و البرهان .

- إحداث نقلة نوعية في المنهج الكلامي ، عبر ربط العقل بالتجربة الإيمانية ، و إعادة الإعتبار للعقلانية في فهم النصوص الدينية حيث يسعى الرازي لتنقية العقيدة من الجمود من خلال إستخدام العقل كأداة إستدلال مستقلة ، لا تتعارض مع النقل الصحيح ، بل تعززه .

- إبراز الجوانب التجديدية في منهج الرازي الفكري ، و مدى إفادته في الواقع المعاصر.

- محاولة تجاوز التجريد النظري بربط المعقولات بالتجربة الروحية .

- التأكيد على أن استخدام العقل في الإلهيات هو السبيل الأقوى للوصول إلى اليقين ، و تقديم العقل على النقل في حالات التعارض الظاهري .

- إدخال علوم و معارف جديدة في التفسير ،و فهم النص في ضوء العقل ، مع الحذر من المفاهيم المحرفة .

- تحرير العقل من التبعية التقليدية ، و تفعيل دوره في قضايا العقيدة و الأخلاق .

منهجية البحث :

تم إستخدام المنهج الوصفي التحليلي في إطار تحولات مفهوم التجديد .

الإطــار النظري للبحث :

أولاً : مفهوم التجديد لغة و إصطلاحاً :

التجديد له مفهومان: مفهوم شرعي دعا إليه الإسلام وطلب من المسلمين أن يباشروه وأن يسعوا إلى تحقيقه بضوابطه وشروطه، ومفهوم آخر اتخذه بعض المغرضين وسيلة للنيل من الإسلام ولذلك تنطلق الثقافة المعاصرة اليوم تحت مسميات متعددة وشعارات مختلفة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، شعارات ومسميات براقة تخدع السامعين وتجعلهم يسيرون في ركابها ثم يتبين أنها سراب، أو أنها سموم القصد منها إفساد الدين والإسلام والمسلمين!.

1-مفهوم التجديد في اللغة :التجديد مأخوذ من أصل فعل "جدد"، فيقال: جدد الشيء: صار جديدا،وأجده وجّدده أي صيره جديداً و هو – أي الجديد – خلاف القديم و جدد فلان الأمر و أجده و أستجده إذا أحدثه[4].

فالتجديد في اللغة هو إعادة الشيء الذي طرأ عليه ما غيرهو أبلاهإلى حالته الأصليةالتي كان عليها قبل التغيير، و في هذا المعلنكلام الشيخ الدكتور القرضاوي: "إذا أردنا تجديدمبين أثري عريق، فمعنىتجديده: الإبقاء على جوهره وطابعه ومعامله، وكل ما يبقي على خصائصه وترميم كل ما أصابه من عوامل التعرية، و تحسين مداخله، وتسهيل الطريق إليه، والتعريف به،.. وليس من التجديد فيشيء ونقيم عمارة ضخمة على أحدث طراز مكانه"[5]

مما سبق يتبين أنَّ التجديد في اللغة يدور حول البعث والاعادة ، وإحياء ما اندرس ، والله أعلم.

2- مفهوم التجديد في الإصطلاح :التجديد له مفهومان:

-التجديد في الاصطلاح الشرعي المضبوط: الذي شرع في الإسلام وحث الإسلام عليه ودعا إليه :وهو يحتوي على ثلاث نقاط مهمة، فالتجديد في الاصطلاح الشرعي: هو "إعادة رونق الدين وجماله وصفائه، وإحياء ما اندرس منه، ونشره بين الناس". فهذه ثلاثة محاور للتجديد الشرعي المضبوط المستحب، ومطلوب من الناس أن يشاركوا فيها[6].

- وأما التجديد بالمفهوم الآخر: فمعناه الانقضاض على أصول الدين وثوابته وكلياته وهدمها وبناؤها بناء جديدا بنفسية المهزوم.. لموافقة ما تدعوا إليه الحضارات المسيطرة على الإسلام والمسلمين، بمعنى أن الإسلام صار قديما فلا بد من إيجاد مفاهيموقواعد وأحكام جديدة في الدين بحيث تتناسب وتتماشى مع الحضارة العالمية الغربيةلمعاصرة التي فيها العلو والاستكبار

والهزيمة والذل للمسلمين , فإذا شتان بين نوعيالتجديد فالأول تجديد للبناء والثاني تجديد للهدم والإزالة[7].

يتضح من خلال التعريفات السابقة أن التجديد هو إعادة إحياء ما أندرسمن العمل بالكتاب والسنة و الأمر بمقتضاهما، حتى يحكم شرع الله في أرضه و يشمل الفقه قضايا الأمة و يعالج مشكلاتها بما يتفق مع روح الشريعة و كلياتها القطعية ، وما يحقق الغاية المرجوة منه ألاو هي تحقيق المصلحة بجلب المنافع و درء المفاسد والتجديد لا يعني تطوع الفقه الإسلامي حتىيساير القوانين الوضعية الغريبة ، و لا يعني التلاعب بالنصوص و انتهاك حرمتها و حملها على غير محاملها الصحيحة تبعاً لما يخدم أغراضهم و يؤيد أراءهم باسم التجديد .

ان التشريعالإسلامي يحتوي على ثوابت و محكمات ليست قابلة للتغيير أو التعديل مهما طال الزمن أو تغيرت الأحوال و الظروف ، و إنما المقصود بمصطلح التجديد هو إعادة الفهم و الإستنباط للأحكام الشرعية بما يوافق أحوال الناس و ظروفهم و حاجياتهم ، و ذلك بالإنفتاح على العصر بمتغيراته لتنزيل الأحكام المناسبة عليه وفق ما يقتضيه الشرع،أما التجديد الذي لا يستندالى أصل شرعي من كتاب أوسنة،فهذا ليس من التجديد فهو إبطال للشريعة و قول على الله بغير الحق [8].

ثانياً: شروط التجديد :

مـن المهـم التنبيـه والتذكير بـأن الهدف المرجو لدى الحريصيـن على تجديد معنى العقل هو بعث الروح فيه، وتزويده بالوسـائل التي تعينه على الاسـتمرار في أداء وظيفته،وتخليصه من العوائق التي تجعله عاجزا عن المواجهة. وإذا كان علم الكلامالقديم قد تسـلح بالفلسـفة والمنطق كي يتمكن من مواجهة خصومه الذين كانوا متسـلحين بهما، وإذا كان قد قام بدراسـة أفكار المخالفينوعقائدهمكي يطلع على مواطن ضعفهـا، وليأتي الرد عليها قائما على العلم و البينة , فإذا كان الأمر كذلك؛ فإن علم الـكلام يحتاج للقيام بمهمته تلك بأن يتصل إتصالاً وثيقاً بالواقع الفكري والعلمي الذي سيشـتبك معه

ويحاوره ويرد علىمقولاته ونظرياته، التي تختلف عن المسلمات المقررة في هذا العلم اختلافا بيناً , ولعل بعضها يهدم أو يســعى إلى هدم هذه المسلمات من أساسها[9].

ومن الممكن إجمال جملة الشروط والمعايير التي يلزم الاعتداد بها في تجديد معنى العقل كما يلي:

1-أن يكون المجدد من الفرقة الناجية :بمعنى ألا يكون المجدد من فرقة ضالة منحرفة، لأنه سيجدد على ضوء انحرافه وابتعاده عن الدين، فربما أصاب الدين بالفساد والانحراف تبعاً لتصرفاته وعقيدته المنحرفة. وقد جاءت الأحاديث وأقوال السلف موضحة لصفات الفرقة الناجية.. وليس المجال مجال سردها، فليرجع إلى مظانها!

2- **أن يكون لدى المجدد الحد الكافي من العلم الشرعي :**وبعض أهل العلم اشترط أن يكون مجتهداً ويمكن أن يضبط هذا الشرط ويقال: إن كان التجديد كلياً فيجب أن يكون الشخص المجدد مجتهداً مطلقاً، وإن كان التجديد جزئياً فيكفي أن يكون المجدد مجتهداً في المسألة والقضية التي سيجدد فيها. وهذا أقرب الأقوال إلى الصواب في مسألة هذا الشرط.

3- **أن يكون المجدد صاحب همة عالية :**كما مر في الحديث: الله يبعث" فكلمة يبعث تدل على أن المجدد ليس كسولاً ولا خاملاً ولا صاحب مصالح دنيوية دنيئة، بل هو صاحب همة عالية وإرادة وعزيمة قوية يسهر الليل ويتعب في النهار ويحقق في المسائل ويبذل جهده وماله ووقته من أجل أن يجدد شيئاً من دين هذه الأمة، فهو صاحب نشاط وعمل وحيوية وابتكاروإبداع.

هذه الشروط التي اتفق عليها العلماء لتكون من شروط المجدد، وهناك شروط مختلف فيما بين أهل العلم.

ثالثاً : مفهوم العقل لغة و إصطلاحاً :

أ- في اللغة :هو مصدر عقل و تعقل عقلاء ، و رجل عاقل : هو الجامع أمره و رأيه و مأخوذ عقلت البعير ، إذا جمعت قوائمه .

و قيل العاقل الذي يحبس نفسه و يردها عن هواها ، اخذ من قولهم : قد اعتقل لسانه ، إذا حبس و منع الكلام ، و العقل التثبت في الأمور و سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ، أي يحبسه و قيل : العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن الحيوان[10] .

و يقال : لفلان قلب عقول ، و لسان سؤول و في القاموس المحيط : العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها أو قبحها أم العلم بخير الخيرين و شر الشرين .

و من هذه المعاني السابقة نصل إلى ان علماء اللغة قد ساروا مع التطور اللفظي لمعنى العقل ، حيث أشاروا إلى الدلالة اللغوية بجانب الدلالة المعنوية و الوظيفية و الأخلاقية للعقل ، فشملت هذه المعاني جانبين :

-جانب نظري : و هو الفهم و الإدراك و العلم .

- جانب علمي : في مجال الأخلاق و التمييز بين الخير و الشر و حبس النفس عن الهوى .

و في كلا الجانبين لابد من الإمساك و الضبط ، سواء الضبط العلمي أو بجانب الضبط الأخلاقي[11].

ب- إصطلاحاً :

-عند أرسطو : " يقرر أرسطو أن العقل عبارة عن جوهر قائم بالإنسان يفارق به الحيوان و يستعد به لقبول المعرفة ".

و هذا التعريف هو الصورة التي أستقل بها شعب المعرفة الإسلامية و يرى أن أرسطو ان العقل نوع من النفس ، يقبل المفارقة عن البدن كما ينفصل الشئ الخالد عن الشئ الفاسد ، و هو متقدم في الوجود عن البدن ، و هو وحده في مقابل النفس الأخرى يأتي في الجنين من الخارج ، و هو وحده الشئ الإلهي ، و يظهر أنه يولد فينا جوهراً ما ، تام الوجود و أنه لا يفسد ، و هو بذاته غير منفعل ، و هو غير متحد بالبدن و هو أحد الموجودات المعقولة[12] .

و من جهة ثانية فإن مفهوم أرسطو للعقل يقسم الإنسان إلى أقسام مستقلة و متباينة ، ذلك أن تخصيص العقل بصفة الذات يجعله منفصلاً عن صفات أخرى للعاقل تشارك في تحديد ماهية الإنسان ، كالعمل و التجربة ، فلو جاز التسليم بجوهرية العقل على طريقة اليونان ، لجاز التسليم بجوهرية العمل و جوهرية التجربة ،فيكون العمل هو الأخر ذاتاً قائماً بالإنسان ، كما تكون التجربة ذاتاً قائماً به مثلها مثل العقل[13] .

رابعاً : مفهوم العقل عند فلاسفة الإسلام :

ان فلاسفة الإسلام يصرحون بأن العقل يقال على أنحاء كثيرة ، و جميعهم متفقون على أن الناس اختلفوا في حد العقل و حقيقته .

-ابن سينا : يعرف العقل في الرسالة الرابعة " الحدود" ضمن تسع رسائل في الحكمة و الطبيعيات ، فيقول : العقل اسم مشترك لمعاني عدة :

فيقال عقل لصحة الفطرة الأولى في الانسان .

و يقال عقل لما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الاحكام الكلية , فيكون حده انه معان مجتمعة في الذهن ، تكون مقدمات تستنبط بها المصالح و الأغراض[14] .

-و يقال عقل لمعنى أخر , وحدَه انه هيئة محمودة للإنسان في حركاته و سكناته و كلامه و اختياره.

- عند المعتزلة :

لا شك ان الصراع الفكري الذي قائم بين النصبين من أهل السنة اهل الحديث و بين العقليين من المعتزلة ، قد أعطى ابعاد علمية و موضوعية أثرت الفكر الإسلامي ، و بعث فيه الحيوية و النشاط ، مع محاولة كل جانب ان يستند إلى القران في منهجه ، مما جعل التأويل الدقيق لأيات القران عملاً جليلاً ، لأنه جعل من تغيير المفردات اللغوية في القرأن على ضوء المنطق و الفلسفة علماً خاصاً قائماً بذاته ينسب الى علم الكلام تارة و الى علم التفسير تارة أخرى ، و لكن المعتزلة بالغوا في تقدير العقل ، و استخدموا سلطة الخليفة في فرض ارائهم الناس ، حتى قامت في وجههم حملات شديدة يقودها اهل الحديث من جهة ، و على رأسهم الإمام احمد و بعض كبار المتصوفة و على رأسهم الحارث المحاسبي و امثاله من جهة أخرى .

- العقل عند الاشاعرة :

يمثل الاشاعرة الاتجاه الكلامي لأهل السنة و الجماعة ، و إن عدهم بعضهم فرقة مستقلة و هذا تعريف العقل عند بعض الأعلام[15] :

-يعرفه أبو الحسن الاشعري بقوله :" العقل هو العلم " و احتج بأنه ليس غير العلم و الإجاز تصور انفكاكهما و هو محال .

ان يمتنع عاقل لا علم له اصلاً ، أو عالم لا عقل له .

ونرى في تعريف الاشعري للعقل انه يركز على الغاية و هي تحصيل العلم .

-و قال الباقلاني : العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات و جواز الجائزات و استحالة المستحيلات . و به قال الجويني في الإرشاد ، و بذلك يتضح ان الباقلاني و الجويني يركزان على قدرة العقل على التمييز بين الأشياء و الحكم عليها ، أي على الوظيفة و تطبيقها على الاحكام العقلية التي تستند الى العلوم الضرورية [16].

خامساً : مفهوم العقل عند فخر الدين الرازي :

الواقع أن الفخر الرازي كظاهرة ثقافية ورغم إشتغاله بالفلسفة و المنطق الأرسطي لا يخرج عن التقسيمات التقليدية في علم الكلام،ذلك أن منهجه لا يفسح المجال المطلق للعقل ليتجاوز أسلافه الأشاعرة الذين يعتبرون خطأ أنهم أصحاب الموقف الوسط بين السلفيين، النصيين، الذين يلتزمون بظاهر النص ويقومون بإلغاء كل مقاربة تأويلية لتلك النصوص الدينية وبين أهل العقل كالمعتزلة و الفلاسفة الذين يرون أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة، وعلى النقل أن يخضع للتأويل.

دعا الرازي إلى ضرورة إعادة الاعتبار إلى العقل بوصفه الأساس المعرفي الأوّل في العلوم الماورائية كمعرفة واجب الوجود لأن عبارة من لا يكون معلوما غير جائزة، وإنما يجوز ويجب بعد المعرفة ، وبذلك يرفض الرازي الطرق التقليدية في المعرفة للمورائيات وأن هذه المعرفة لا يجب أن تكون نقلا ولا ذوقا أو مكاشفة وإنما الاستدلال، أي باستعمال العقل وليس بشيء آخر (لأنه لا طريق لمعرفة اللهتعالى إلا بالنظير وبالاستدلال) ثم إن إلغاء العقل من فضاء الماورئيات هو من باب الحماقة المفرطة لأن صحة القرآن، وصحة نبوة الأنبياء متفرعتان على معرفة الإله،فإثبات معرفة الإله بالقرآن وقول النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به.

لقد ناصر الرازي العقل عند معارضته بظواهر النصوص، و هذا المنهج الذي تبناه الرازي هو في الواقع نفسه مسلك الفلاسفة و الكلاميين من المعتزلة بل أولية العقلعلى النقل قاعدة أصلية تتفرع منها بقية المسائل.

إن المعرفة العقلية عند الرازي كما رأينا هي أول الواجبات على الإنسان وأن خصيلتها واجبة ضرورية، و متى حصل العلم بأن العالم ممكن، و كل ممكن له مؤثر سواء كان هناك معلم أولا فهذه المعرفة واجبة عند كل إنسان هي معرفة ضروريةلا تحتاج فيها إلى معلم يعرفنا بأن الله تعالى هو المؤثر الذي خلق هذا العالم.

سادساً : وظائف العقل عند فخر الدين الرازي :

يمكن بحث أدوار و مهام العقل من عدة جهات ، اذ يتم في بعضها الاهتمام بالعقل بوصفه مصدراً مستقلاً ، و في بعض الموارد الأخرى يتم الاهتمام بالأدوار و المهام غير الإستقلالية للعقل .

و بالنظر الى وظائف العقل في مختلف العلوم ، و لا سيما منها علم الكلام ، و كذلك بالنظر إلى الايات و الروايات ، يمكن ان نذكر في الحد الأدنى – خمس مهام و وظائف للعقل و هي :

العقل النظري / العقل العملي / العقل الألي / العقل الإستنباطي / العقل الدفاعي .

-الوظيفة النظرية :

ان الوظيفة النظرية للعقل عبارة عن اكتشاف الحقائق النظرية و الوقائع و الموجودات و المفقودات ، و بذلك تكون معرفة الله و الإنسان و العالم من المهام و الوظائف النظرية للعقل .

ان جميع مدركات الإنسان تتحقق بواسطة القلب و النفس او الروح ، و ان العقل سراج القلب و أداة إدراكه ، سواء في ذلك إدراك الحقائق الخارجية أو المفاهيم ، و سواء في ذلك المفاهيم الجزئية او المفاهيم الكلية .

و بطبيعة الحال ، فإن النفس في مدركاتها تعتمد في بعض الموارد على الحواس ،في بعض الموارد الأخرى من دون الإستعانة بالحواس ، و إنما تعتمد على مجرد نور العقل في إدراك الحقائق[17] .

و من المعروف أن الأشاعرة لا يستعملون العقل إلا في مورد الدفاع عن التعاليم الدينية ، و لا يؤمنون بالعقل بوصفه مصدراً . إن هذا الأمر و إن كان صحيحاً بشأن العقل العملي و لكنه لا يصح بشأن العقل النظري ، و ذلك لأن الأشعري في كتابه " اللمع" يستفيد من برهان مثل برهان الحركة لأرسطو في إثبات وجود الله سبحانه و تعالى و يرى ان انتقال الإنسان من النطفة إلى العلقة ، و من النقص إلى الكمال ، و من القوة إلى الفعل ، بحاجة الى ناقل و هو الله سبحانه و تعالى ، و من بين المجلدات الثمانية لكتاب " شرح المواقف " للقاضي عضد الدين الإيجي و السيد شرف الدين الجرجاني ، تم تخصيص سبع مجلدات بالأمور العامة المتعلقة بالعقل النظري ، و تم تخصيص مجلد واحد بالإلهيات ، إذ اشتمل على مختلف الأبحاث و من بينها إثبات الصانع – من خلال إقامة براهين متنوعة[18].

- الوظيفة العملية :

ان الدور العملي للعقل في علم الكلام عبارة عن إدراك الحسن و القبح الذاتي للأفعال ، يذهب الإمامية و المعتزلة الى الاعتقاد بان الأفعال – بغض النظر عن امر الشارع ونهيه – تنطوي على صفة الحسن و القبح في ذاتها ، و ان الانسان يدرك هنا الحسن و القبح في بعض الموارد بعقله .

ان الفلاسفة المسلمين – من أمثال ابن سينا لا ينكرون الحسن و القبح الفعلي ، و لا يرونه عقلياً ، و انما يرونه عقلانياً ، و انه يرونه من المشهورات العامة ، و لا يقبلون بدور العقل العملي بالمعنى المذكور .

و المعنى الاخر للعقل العملي عبارة عن القوة المتحركة بالعمل و الإرادة ، و على أساس هذا المعنى ، يكون العقل العملي عبارة عن قوة العمل و ليس قوة الادراك و إن ادراك الواجبات و المحظورات بدوره يقع على عاتق العقل النظري ايضاً ، ان قطب الدين الرازي من أنصار هذه النظرية[19] .

سابعاً :العقل ودوره في البناء و التجديد :

إن دور العقل المسلم من منظور القرآن الكريم دور هام وفاعل في شتى مجالات الحياة, وفي كل الميادين, وفي مختلف المعارف والعلوم, هذا الدور الذي دعا إليه المنهج القرآني بكل وضوح ومنهجية, وتوافرت عليه كثير الآيات والسور, لا بد وأن يتمثله العقل المسلم من زوايا مختلفة, ومحاور متجددة, ورؤى وضيئة, تضفى على العقل الفاعلية, وتنفي عنه الجمود والتحجر, وتطلق له العنان ليقوم بالدور المناط به كعقل بشري يمتلك المؤهلات البيولوجية, والقدرات العالية في التنقيب والتجديد, والبحث والنظر, والابتكار والاختراع, والاستدلال والمحاكاة, ونقد الأشياء وفق الزاوية المتاحة, والضابط المتاح[20].

لقد أسس القرآن الحياة والحضارة المدنية على أساس العقل, فخاطبه ودعاه إلى التفكير, والنظر العقلي, والتفكير فيما أودع الله في الكون من الأسرار وبدائع الخلق, ورفض الأساطير والخرافات, والأكاذيب بشتى صورها وألوانها, والشائعات والأراجيف التي تتصادم مع عمل العقل, واستخدم القرآن في ذلك الدليل الحسي العقلي لإثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى, من هذه الرؤية فإن دور العقل ينبغي أن يكون في المشاركة في النهوض الحضاري, والتقدم الصناعي, والتطور التكنولوجي وفق العلمية والمنهجية القرآنية التي كونته وأضفت عليه الطابع المعرفي وفق الإسلامية الفريدة والمتميزة[21].

إن قيام العقل بكل عملياته الذهنية منها والحركية, يتطلب مساحة واسعة من العطاء وميداناً كبيراً من المساحة اللذان في ضوئهما يستطيع أن يبتكر ويجدد ويطور ويبني ويخطط وينظم, وبغير هذين العنصرين لا يمكن للعقل أن ينتج معارف جديدة أو يكتشف مقاصد وأحكام كانت غائبة, وتطورات ملائمة للطبيعة المجتمعية المعاصرة.

لقد باتت الحاجة ملحة لأن يلعب العقل دوره الفعال والمثمر في تجديد العلوم وبناء الحضارة, فعلى سابق الذكر من النصوص القرآنية الداعية إلى حركية العقل وعلميته ومهمته في النهوض المعرفي والتطور والسير في الأرض, واكتشاف الجديد فيها,

والتنقيب عن المعادن,والتطور في مجالات والتطور في مجالات المعرفة المختلفة, يجد المتأمل أن دور العقل أصبح كبيراً في ميادين البناء والتقدم, والتجديد والتطوير والعطاء.

وإن غياب دور العقل في هذه المجالات البالغة الأهمية تعني استسلامه ورضوحه لضربات الأعداء الذين يمارسون ضده وسائل وممارسات هادفة إلى توقيفه عن العمل, ومصادرة حقه في التفكير والتعلم والعطاء والبذل في الإسهامات والممارسات المناطة به كعقل يعمل وفق منهجية حكيمة رشيدة, مصدرها الوحي, مقرونة بالدليل والحجة والبرهان, إن غياب دور العقل في التجديد والبناء الحضاري يعني استيراد الثقافة المعلبة من قبل املاءات معادية للإسلام طامعة في استعمار العقل المسلم, وإيداعه في محاضن التبعية والتقليد, والجمود والمصادرة, إن ذلك يعني مصادرة حق العقل المسلم الذي كفله القرآن ودلت عليه الشريعة السمحة, وبه تحقق مقاصدها, ولذا يمكن أن نلخص دور العقل في هذا الجانب بالنقطتين الآتيتين[22]:

ثامناً : دور العقل في البناء الحضاري:

دور العقل في البناء الحضاري الأصل فيه أن يكون دور متبصِّر, ومتوازن ذلك أن العقل المسلم عقل أخلاقي, ولقد استفادت الأمم والحضارات السابقة من الخبرات التي جال فيها العقل المسلم فعرف منها وأنكر, وقبل ورفض, وهذا الموقف الذي ينبغي للعقل أن يتمسك به, وهذا الذي ذكره الدكتور عماد الدين خليل بقوله: "إن هذا الموقف الحضاري المتبصر المرن, الموزون, حقق مردوده الإيجابي الفعال ليس على مستوى الحضارات الإسلامية فحسب, ولكن عبر نطاق الحضارات جميعاً, العناصر الطيبة الصالحة في هذه الحضارات بمعنى أدق, وهو خلال هذا كله يؤدي وظيفة لم تؤدها من قبل حضارة أخرى بهذه السعة والعمق: حماية التراث البشري, وتمكينه من البقاء في مواجهة تحديات السقوط والنسيان والفناء.

ومن هنا فإن مهمة العقل أن يعرف أن النهوض الحضاري للأمة لن يقوم إلا من الهوية والتجربة وقبل ذلك من استلهام الوحي, وهذا ما أكد عليه الدكتور لؤي صافي, حيث قال: "إن النهضة الحضارية للأمة لا يمكن أن تتم انطلاقاً من الواقع الغربي الحداثي, أو اعتماداً على عقلٍ هلامي, بل تتطلب تطوير نموذج حضاري بديل, انطلاقاً من الذاتية التاريخية للأمة التي لا تستمد قوامها وهويتها من تجاربها وحسب, بل تستمدها كذلك من الوحي الذي منحها الرؤية, وأمدها بالقيم, وزودها بالتوجه الذي أدى إلى ظهورها, وإقامتها حضارة متميزة رائدة[23].

الإنسان منذ أن استخلفه الله على الأرض طلب منه أن يقوم بواجب الاستخلاف, وأن يحقق الغاية التي أوجده الله لأجلها من الإيمان به وحده, والتصديق برسله, والإيمان بما أنزل, هذا الدور المناط بالإنسان كخليفة الهدف منه التعبد لله في التعمير والبناء والتشييد وعمارة الأرض بكل لدى الإنسان من إمكانات وقدرات ومواهب حتى تستقيم الحياة, وتشبع الرغبات. إن دور العقل في البناء الحضاري أن يفهم واجب الخلافة والمقصد منه, ومن منظور آخر كيف قامت الأمم السابقة بواجب الاستخلاف, ومن ثم الفهم الشامل والصحيح للحضارة المعاصرة بالانفتاح عليها انفتاحاً منضبطاً بضوابط الوحي, يقول الدكتور عبد الحميد أبو سليمان: "فالفهم الشمولي الصحيح للحضارة المعاصرة, والانفتاح المنضبط نحوها أمر ضروري إن دور العقل في البناء الحضاري يتمثل في مواكبة التطور بالجديد والمفيد في ميادين التكنولوجيا, والتقدم الصناعي, والعلمي, وتشجيع المفكرين والمبدعين, وفسح المجال للعلماء وأرباب الفكر في صناعة التقدم والحضارة, وبذلك تنمو الحياة بشكل متكامل ومتنامي من جميع الجوانب, وعلى كافة الأصعدة والاتجاهات, ومقدرته على مواجهة الأزمات والتحديات المعاصرة والتي سيتناولها الباحث في المبحث القادم.

الخاتمة :

إنّ التجديد في الفقه الإسلامي ضرورة دينية ودنيوية لابد منه لضمان استمرارية الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان، غير أنَّ هذا التجديد المنشود لم يقف عند أهله من العلماء والفقهاء، وإنّما تجاذبته اتجاهات عديدة، مما جعلنا نسمع في هذا

الزمن بكثير من الفتاوى والآراء التي على جهل عظيم بثوابت الشريعة وأصولها، والسبب في ذلك الغفلة عن الضوابط والإفراط في اعتبار الواقع وتلمس الرخص والتستر باسم المصالح والمقاصد ، وبذلك أصبح القول بالتجديد غايةً لكل من رام الابتداع في الدين أو رام الترويج أو الانتصار لفكر أو رأي .

لذلك فإن التجديد موضوع كبير أفرزته الثقافة الإسلامية المعاصرة، ودخل فيه أناس لا يتقنون فنه فضلا عن التكلم فيه، وقد اتخذ في الآونة الأخيرة – بحسن نية أو بسوء نية - مطية لتحريف أصول الدين وقواعده، ودفع أعداء الإسلام لذلك مجموعة من المرتزقة للحديث عنه واتخاذه مطعناً يطعن به الإسلام، فكان لا بد من كشف اللثام وبيان الحقيقة بين هذا الادعاء وذلك التأصيل، بصورة تأصيلية شرعية مع التفريق بين التجديد عند المسلمين بضوابطه وشروطه، وبين التجديد المدَّعى عند أرباب الأقلام والثقافة وغيرهم من المدسوسين؟

المراجع :

1-إمام، أنفال بنت يحيى. موقف الرازي من القضاء والقدر في التفسير الكبير. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 2011، ص50.

2ص- الفارابي ، أبو نصر، فصول منتزعة، ص54، مكتبة الزهراء، ط2، طهران، 1405هـ؛ ابن سينا، حسني، الإشارات والتنبيهات، ج2، ص352.

3-برنجكار، رضا، عقل در أحاديث(العقل في الأحاديث)المطبوع ضمن كتاب: سرجشمه حكمت (معني الحكمة)، ص67-70(مصدر فارسي).

4-محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العَلْقمي ، فقيه شافعي ، من تلاميذ السُيوطي ، ولد سنة (897) ، وتوفي سنة (969) ، وكتابه هذا هو " الكوكب المنير" ، وهو: شرح للجامع الصغير للسيوطي ، انظر: شذرات الذهب (490/10) ، وكشف الظنون (560/1) ، والأعلام للزركلي (196/6).

5-عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية وأساليبها، ص16، ط2، دار الفكر بدمشق.

6- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، 1/92، ط1، مؤسسة دار الهجرة، طهران.

7- الدكتور يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشد تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ص34، ط1، مؤسسة الرسالة، وانظر: معه الدكتور حسن العلمي، تجديد الفكر الإسلامي، ص13، ط2003، مكتبة التراث الإسلامي.

8- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي..وهذه مشكلاتنا، ص28، ط1، 1414هـ-1993م، مكتبة الفارابي.

9- عبد الحليم أبو شقة، نقد العقل المسلم، الأزمة والمخرج، ص 143، دار القلم، الكويت، ط1، 1421هـ-2001م.

10- ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، مادة عقل .

11- فاطمة إسماعيل محمد ، القران و النظر العقلي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة ، ص49-50 ، ط1، 1993.

12- أرسطو , كتاب تكوين الحيوان ،(نقلاً عن فاطمة إسماعيل محمد ، مرجع سابق ، ص54).

13- طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، ص21، 2000.

14- إبن تيمية ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، دار البعث ، قسنطينة ، ص68 ، 1987.

15- الجوزو، محمد علي ، مفهوم العقل و القلب في القرأن و السنة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ص157 ، 1983.

16- عضد الدين الإيجي،المواقف في علم الكلام ،ص146.

17- الاشعري ، أبو الحسن ، اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع ، ص18 ، المكتبة الأزهرية ،القاهرة .
18- الفخر الرازي ، فخر الدين ، المحصل ، ص337 ، دار الرازي ، عمان ،1411هـ.
19- المقداد الفاضل ،ابن عبدالله السيوري، اللوامع الإلهي في المباحث الكلامية ص83-85 ، دفتر تبليغات إسلامي ، دار الإسوة ،طهران .
20- الاسلام وحقوق الإنسان (ص:100) ، الاسلام والمستقبل له (ص:28).
21- عبد الرحمن طه ، الفلسفة والترجمة :فقه الفلسفة ،المركز الثقافي العربي :المغرب ، م،1995، ط1، ص173.
22- عبد الرحمن طه ،العمل الديني و تجديد العقل ،المركز اثقتفي العربي ، المغرب ،ط2 ،1997 ، ص11.
23- برينتون ، كرين ، 2011،تشكيل العقل الحديث ، ترجمة شوقيجلال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص19-20.